الوجودية فى نظر التحليل النفسى

للأستاذ شاكر الكبرى

أثبت التحليل النفسى وجوده بين مختلف العلوم والآداب والفنون ، لا بل تخطى ذلك كله وتقدم بزهو نحو المكانة اللائقة به فى عالم الطب النفسى ! وليس هناك من ينكر الخدمات الجبارة التى حققها هذا العلم فى خدمة الإنسانية ، تلك الخدمة التى تجلت فيها المعرفة الخارقة فى كشف أغوار النفس البشرية وما تنطوى عليه من ألغاز وأمور معقدة ! كادت أن تفتك فتكاً ذريعاً فيها ، كما أثبت لنا هذا الطب الحديث الأخطار النفسية التى كانت تغزو البشرية فى معاقلها . . وكان الفضل الأكبر يعود بذلك (للأستاذ فرويد) ومدرسته الفنية التى خدمت ولا زالت تخدم المجتمع الإنسانى فى مجال تقدمه ورقيه ، هذه لمحة وددت أن أستهلها فى بحثى هذا لما لها من علاقة وثيقة بين الموضوع الذى سأتناوله

سبق لى وتحدثت إلى قراء (الرسالة) الغراء فى بعض أعدادها عن (فلسفة الوجودية) وما تحويه من أفكار ، وتقوم عليه من آراء ، سفسطائية كوميدية ، تكاد تلق بسامعيها من الضحك إلى الوراء !

ولست الآن بصدد كوميديتها ، بل فى تحليلها تحليلا صادقا لكشف ما تحتفظ به من سموم ميتة ومخدرات (مورفينية) لتحقن بها أجسام الناشئة من الشباب الذين لم يتجاوزوا بعد دور المراهقة ، وربما تعدوا هذا الدور قليلا ! غير أنهم لم يستطيعوا من ضبط أعصابهم والسيطرة على عواطفهم الجامحة

أقول : الشباب وأقصد بالطبع الفتيان منهم والفتيات

لعل مدينة (النور) تذكر الأدوار التى لعبتها فى إغراء الناس من مختلف الطبقات والقوميات ، وأخص بالذكر منهم الغرباء النازحين إليها والمقيمين ، ولم تقتصر فى إغرائها هذا على نفسها بل تعدته إلى نفوس الآخرين

ولعل (فرويد) غير مرتاح لما يسمعه عن هذه المدينة الطائشة ، والمذاهب الانحلالية القائمة فيها

ويعتبر (فرويد) حسب نظرياته الطبية أن المذهب (الوجودى) مذهب لحته النفسخ وسداه الاضمحلال الخلقى ، لأنه نشأ فى وسط متفسخ بلغت به الفوضى الخلقية حد الجنون ! لأنه ترعرع بين الفترات المظلمة التى خلفتها وتخلفها الحروب البربرية !

ولما كانت هذه الحروب ذات تأثير مىء على المجتمعات من حيث شكلها ومادتها ، ولما تحدثه فيها من انعدام النظام وتفشى الفوضى والأمراض المختلفة بين السكان ، كان معنى ذلك أن الفرد أخذ يحس إحساسا قويا بانعدامه فى هذا الوجود المجنون ، كما أنه بات لا يشعر قط بوجوده ، ولأجل ذلك أخذت فكرة انغماس الفرد فى ذاته ، وسعيا لتحقيق رغباته ، ذلك السعى الذى جعل منه إنسانا (بوهيميا) يعيش لنفسه فى جو من الخلاعة والدعارة ، كأنه يريد بذلك أن يثبت وجوده (بسلوكه الشاذ) على طبيعته وطبيعة الكائنات المخلوقة الأخرى ، وهو بذلك يسلك الطريقة الشائعة (خالف تعرف) . هذا من ناحية ، أما النواحى الأخرى التى أوجدتها ظروف الحروب ، هو الكبت الجنسى الحاصل عند الجنود من جراء بعدهم عن المرأة فى ميادين القتال ، ولعل هذا البعد يستغرق سنوات طويلة فى هذه المزلة الكئيبة التى تخلف فى نفوسهم رد فعل عنيف لا يستطيعون معه كبت عواطفهم ، وكثيرا ما أدى هذا الكبت إلى انتشار الشذوذ الجنسى بين المحاربين

كل ذلك أثر من آثار الحروب المدمرة ! ولعلنا أدركنا وندرك كم من الحضارات الزاهرة اندثرت ! وكم من المدن النضرة أصبحت أثرا بعد عين ! وكم من الجماعات الفظيعة انتشرت تأكل بعضها بعضا ، وكم من الحدائق الغناء والمروج الجميلة أضحت أرضا جرداء لا ماء فيها ولا زرع ! بغض النظر عن الكوارث الجسيمة التى يصاب بها المجتمع البشرى والتى أوردت بملايين من العوائل إلى البغى والإثم ! من جراء الفقر وغزو الفاتح لها ...

ولعلنا أيضا لم ننس ما حل فى أوربا وخاصة فى الحربين العالميتين (١٩١٤ و١٩٣٩) من تهتك الفاتحين بعضهم لبعض ،